مقدمة

يظن البعض أن تصرفات وأفعال الناس وتفكيرهم مبني على قرارات منهم فقط على الرغم من وجود عوامل آخرى كانت سبب غير مباشر في تكوين شخصية متخذ القرار

لذلك نحن نعيش بتأثير نظرية علمية تسمى بنظرية تأثير الفراشة أي أن حدث صغير في الماضي يؤثر على حياة عائلة كاملة في المستقبل

فلك أن تتخيل لمجرد تباهي ملك بقدرات دولته العلمية والهندسية منذ أكثر من خمسة ألاف سنة فيقوم ببناء حضارة أدت إلى دخول أموال كل عام لدولته في المستقبل لمجرد مشاهدة السياح لهذه الحضارة

ومن الممكن كلمة تغير حياة شخص مثل اعتراض أب على ابنه بكلمة لا تجعله لا يذهب إلى مكان ما كان سيلقى مصرعه فيه وهذا يكون مجرد سبب بقدرة الله عز وجل لأنه مسبب الأسباب

وعندما يتعلق الأمر ببناء شخصية بشري يجب مراعاة أن الشخص لن يعيش في جنة، بل سيعيش في مجتمع يقابل فيه الصالح والطالح

لذلك سنرى ذاك الشخص الذي دمرت شخصيته عندما يتعامل مع البشر وما صنعه البشر

البلقاجي

دموع الفرح

في يوم ٢٠٠٢/٥/١٦ كانت أهم ليلة لدى الطبيب الجراح (محمد عمرو البلتاجي) حيث كان سيرزق بمولودة الثالث و ولده الثاني والذي كان متفق على اسمه من قبل أن يولد وهو (عاصم)

وهكذا أصبح لدى البلتاجي ثلاث أطفال هم

(فوزي) صاحب ال١٢ عام ، (شهد) صاحبة ال١٠ أعوام ، (عاصم) المولود الجديد

وعلى غرار ولادة فوزي وشهد قام الدكتور محمد باستدعاء الداية عبلة التي قامت بتوليد درية مرتين من قبل

كانت توجد حالة من التوتر على وجه البلتاجي و ضربات قلبه متسارعة وصدره يصعد ويهبط و كان طوال الولادة يتحرك بشكل متردد من يسار الممر إلى يمين الممر و يعجل نعمة مدبرة المنزل بأن تسرع في إدخال المياه الساخنة الذي طلبتها الداية ومن كثرة التوتر جلس على الأرض بجوار أولاده مع صوت صرخات تخرج من الغرفة حتى سكت الصراخ و تبدل بصوت رضيع يبكي بحرارة فأسرع البلتاجي بالنهوض تجاه الباب

محمد: طمنيني

عبلة: ألف مبروك ولد ، هتسموه إيه ؟

محمد: أنا و درية اتفقنا نسميه عاصم

عبلة: يتربى في عزك يا دكتور

محمد: ربنا يخليكِ يا عبلة والله عقبال لما تشوفي أحفادك يا رب

نظرت عبلة للأطفال وابتسمت

عبلة: إبسط ياعم فوزي جالك إللي يدخلك الجيش أهو

فوزي: جيش! لا جيش إيه مش عايز أدخل

عبلة: لا إذاي ده الجيش للرجالة

فوزي: طب ما هو بابا مدخلش الجيش وهو راجل برضو

عبلة: ايوه عشان بابا مكنش ليه اخوات

فوزي: طب اشمعنا أنا يبقى ليا خلاص انا مش عايز أخ

عبلة: ده هيبقى سندك بعد ابوك ربنا يديله طول العمر

قطــع محمــد الحــوار وقــال للدايــة أن تــذهب معــه غرفــة المكتـب حتـى يتحـدثون فـي الأمـور الماليـة وقـام بالتوجـه إلـى الأعلى متجهاً ناحية غرفة المكتب ولحقته الداية

محمد: اتفضلي يا عبلة..

محمد: يا نعمة هاتي شربات لعبلة

نعمة: حاضر يا بيه عينيا

عبلة : مالوش داعي والله أنا مش غريبة

محمـد: لا مـالوش داعـي اذاي ده انـتِ فـي بيتـي ، إيـه عـايزة تقولي عليا بخيل

عبلة : لا مش القصد بس كنت عايزة أعرفك حاجة

محمد: اتفضلي قول عايزة مبلغ أكبر من إللي اتفقنا عليه؟

فــي هـذه اللحظــة كـاد أن يـدخل علـيهم فـوزي حتــى سـمع الداية تقول

عبلة: لا مش موضوع ماديات أبداً ، أنا كنت عايزة أبلغك تحت بس الأطفال كانوا جنبك

محمد: خير يا عبلة قلقتيني

عبلة: الولادة كانت طبيعية و مشيت بشكل كويس جداً لكن درية نزفت كتير عن اللزوم و درية..

محمد: درية مالها يا عبلة

عبلة: درية تعيش أنت

ظل ينظر محمد إلى الداية بتعجب ولم يستطيع التحدث من الصدمة

حتى دمعت عيناه وقال لها بصوت يشبه صوت فحيح الأفاعي

محمد: درية. درية مراتي ماتت.

عبلة: والله يا دكتور محمد ده قضاء وقدر شد حيلك

قبل أن تبوح الداية بخبر وفاة درية كانت نعمة قد أحضرت الشربات ولاحظت وقوف فوزي على باب المكتب وعندما اقتربت حتى تسأله لماذا يقف على الباب سمعوا الإثنين خبر وفاة درية حتى أصبح فوزي مثل

الشـخص المصـاب بمـرض فـرط الحركـة ، أصـبح ينظـر لليمـين ثـم اليسـار بسـرعة وعينـاه انتفخـت مـن كثـرة الـدموع التي أغرقـت عينـاه فـي ثـواني معـدودة وكـاد أن يصـرخ حتـى لحقته نعمة و أسقطت كوب الشربات وقالت له

نعمـة: ولا كأنـك سـمعت حاجـة أبـوك لـو عـرف إننـا سـمعنا مـن غيـر مـا نكـون جـوه معـاهم مـش هيعـدي علينـا نهـار اسبقني جري على المطبخ

سـمع فـوزي حـديث نعمـة وهـو وجهـه شـاحب ثـم نفـذ طلبهـا وذهب مسرعا إلى المطبخ كما طلبت منه

ثـم فـتح محمـد بـاب المكتـب حتـى يعـرف مصـدر صـوت الكسـر ليجـد نعمـة تلملـم قطـع الزجـاج المكسـورة والتـي تناثرت عليها قطرات حمراء من ماء الشربات

نعمة: دكتور محمد!

أني آسفه يا بيه هروح أجيبلها واحدة تانية في ثواني

محمد: لا يا نعمة خلاص ملوش داعي

نعمة: يوه مـش إلـه داعـي إذاي يـا بيـه هـو إحنـا بخـلا ولا إيـه خير ربنا كتير الحمد لله

محمـد: بقولـك يـا نعمـة بـلاش شـربات وشـوفي عبلـة عـايزة تشرب إيه

نعمة: خير يا دكتور كفى الله الشر

محمد: درية توفت يا نعمة

نعمة: الدكتورة درية ماتت!! يا مراري يا بيه

يـا صـغيرة علـى المـوت يـا ختـي ويـا إللـي ملحقتـيش تفرحـي وتتهني بولادك يا ختاااااي

محمـد: اكتمـي النـواح ده شـوية وإلا هيكـون ده آخـر يـوم ليكي هنا

نعمة: حاضر يا بيه حقك عليا أني آسفه

محمد: خلاص يا نعمة شوفي عبلة هتشرب إيه

قاطعـت الدايـة حـديثهم وقالـت: لا مـالوش داعـي اعتبـروا الواجب وصل استأذن أنا بقى لأن جالي حالة تانية

ثم رحلت

نظـر محمـد لنعمـة ودار حـديث بيـنهم كـان بـين الخشـونة والحزن

محمد: حسك عينك حد من الولاد يعرف حاجه

نعمة: يوه! إيه الكلام ده يا بيه لا لا الولاد لازم يعرفوا بدل ما يلاقوا أمهم في يوم وليله اختفت مرة واحدة وكل يوم يسألوا عليها ويعيشوا في وهم

يعني قولي مثلاً يا بيه لو جم في يوم سألوك ماما فين هتقوله...

قاطع محمد ثرثرة نعمة بلهجة خشنة وقال: أنا مش عايز كلام كتير دي حياتي ودول ولادي وأنا عارف أنا بعمل إيه مالكيش دعوة إنتي

نعمة: حاضر يا بيه

محمد: الولاد يعرفوا يعني إنتي برة

نعمة: مش هيعرفوا يا بيه

محمد: تمام. يلا شوفي إنتي رايحة فين

وفي وقت ما كانت نعمة تتحدث مع دكتور محمد كان فوزي جالس يبكي في المطبخ ومن ثم دخلت عليه شهد أخته

شـهد : إيـه ده ؟ انـت بتعمـل هنـا إيـه يـا فـوزي ومالـك بتعـيط ليه هو بابا ضربك؟

فوزي : لا مفيش حاجة . إنتي جاية المطبخ ليه أصلا ؟

شـهد : لا مفـيش لقيـت ماما تعبانـة أوي ومـش بتـرد قلـت لمـا أروح أعملها كوباية ماية بسكر وأشربهالها عشان تفوق

وفي هذه اللحظة انفجر فوزي في البكاء

فقلقت شهد واقتربت منه حتى تعرف ما السر الذي يخفيه

شهد : في إيه ؟

فوزي : هيكون في إيه يعني؟

شهد : لأ أكيد في حاجة ، أنا عارفاك كويس

فـوزي : قولتلـك مفـيش حاجـة بـس خـايف مـن مـاتش انهـارده مش أكتر

شـهد : مـاتش إيـه؟ أنـت بتكـدب عليـا. أنـت بقالـك أسـبوع كـل يوم تقولي هنكسب ونحرجهم وهنعلمهم الكورة

ما تقول في إيه يا فوزي

فوزي بحسرة : بس بابا مايعرفش.

شهد : ماشي مش هقوله حاجة

فوزي : كنت داخل اقول لبابا أن عاصم بيعيط وماما مش بتصحى فسمعتهم بيتكلموا عن موضوع مش عايزين يتكلموا فيه قصادنا وبعد كده عرفت إن ماما ماتت

ثم بدأ فوزي بالبكاء مرة أخرى لكن بشكل أعنف من ذي قبل وبعد سماع شهد للخبر كانت مصدومة صدمة كبيرة وأصبح لسانها غير قادر على الكلام و وجهها غير قادر على التعبير و لم يتحرك جزء في جسمها سوى عيناها التي كانت تتحرك حركات دائرية سريعة وتدمع بقوة

وعندما اشتد بكائها اتجهت إلى باب الخروج من المطبخ حتى تتجه إلى غرفة أمها لكن اصطدمت بنعمة التي كانت لا تفهم سبب زعرها ثم أخذتها من زراعها وسحبتها إلى الداخل مرة آخرى ونظرت إلى شهد ثم إلى فوزي الذي كان يجلس على كرسي ويبكي ثم بدأت تترك شهد وتتجه ناحية فوزي

نعمة : عشان خاطري أوعى يكون إللي في بالي صح

وجه فوزي نظره إلى نعمة بدون أن يلقي أي كلمة

نعمة : يبقى إللي في بالي حصل ، ليه كده يا فوزي

شهد : هو فعلاً الكلام إللي بيقوله فوزي ده حقيقي يا نعمة ؟

نعمة : أبوس إيدك يا شهد مش تعرفي أبوكي إنك عرفتي أي حاجة أبوكي قايل لو أنتوا عرفتوا حاجة هايمشيني من هنا ويقطع عيشي

فوزي : لا مش هنقوله طبعاً

نعمة : طب بصوا يا ولاد انتوا روحوا لاعبوا عاصم شوية و برضو خليكوا مع أمكم

ثم بدأت نعمة في محادثة نفسها في السر

عيني عليكم يا ولاد أبوكم عصبي وقراراته غلط يلا اهو تقعدوا مع أمكم شوية قبل ما تندفن تحت التراب ومش تشوفوها تاني

اتجه الأولاد إلى غرفة دريه التي فارقت الحياة وجلس فوزي بجوار أمه وهو ينظر إليها بنظرة حسرة وفقدان الحنان واتجهت شهد إلى عاصم وحملته

شهد : شايف الملاك ده يا فيفو

فوزي : فين الملاك ده

شهد : أهو عاصم

فوزي : بذمتك ده منظر ملاك ده صوته مزعج كأنه شيطان مش ملاك

شهد : بس يا ولا انت بلا شيطان بلا بتاع ، ماتسمعلوش يا عصومي ده بس غيران عشان بدلعك انت وهو لأ

فوزي : طب تعرفي أن الملاك ده سبب موت ماما

شهد : انت بتقول إيه يا فوزي إفرض بابا دخل علينا. انت عارف هيعمل إيه ؟

فوزي : لأ هو السبب

في هذه اللحظة دخل محمد الغرفة ليجد أن فوزي يجلس مع أمه و شهد بجواره تلاعب عاصم

محمد : بتعملوا ايه يا ولاد ؟

شهد : بنلاعب عصومة يا بابا

محمد : ماشي يا حبيبتي ربنا يخليه ليكم ، يلا يا فوزي مش انت قلت هتتفرج معايا على الماتش

فوزي : ماشي جاي أهو

شهد : بابا هو أنت بتعيط ؟

محمد وهو يمسح الدموع : أيوه يا حبيبتي دي اسمها دموع الفرح .

*****

بدأت المباراة ومحمد يشاهد المباراة بحزن وفوزي يحاول أن يتصنع في أن يكون بحالة طبيعية ومع صافرة البداية

مدحت شلبي: سيداتي آنساتي سادتي بسم الله الرحمن الرحيم والهدف الأول للنادي الأهلي

وضـع محمـد يـداه علـى وجهـه وهـو ينظـر لشاشـة التلفـاز ولا يصدق سرعة تسجيل الهدف

فوزي (في سره) : إيه ده يدخل فينا جون بالسرعة دي

ده إحنـا وصـلنا كـأس عـالم واحنـا أبطـال الـدوري إذاي ده يحصل ، بركاتك يا عاصم

انتهى الشوط الأول بنتيجة 0/3 لصالح النادي الأهلي

فوزي : هو طبيعي ده يحصل ؟

محمد : الكورة مكسب وخسارة

فوزي : بس إحنا رحنا كأس العالم و هما لأ

محمـد : مـش لازم تكـون موجـود فـي كـأس العـالم عشـان تثبت إنك فريق قوي

عنـدك مـثلاً فريـق ذي المـيلان و برشـلونة مشـاركوش مـع إنهم أندية قوية جداً

فوزي : بس إحنا أبطال الدوري

محمـد : عـادي برضـو مـش لازم تكسـب كـل الماتشـات عشان أنت بطل الدوري

صمت فوزي وبدأ يتابع أحداث الشوط الثاني

وكـاد أن يطيـر مـن الفرحـة بعـد تسـجيل الزمالـك لهـدف التقليص لتصبح 1/3

فوزي : أيوه كده أكيد هنرجع تاني

مر الوقت وكانت الأمور تزداد سوءاً

مدحت شلبي : كورة مع رضا شحاتة عايز يعدي واحد على واحد ، وطالعله بلال وطالعله بيبو ، يحطها لبيبو وبيبو عايز يعدي. عدى عدى . بيبو وبشير بيبو وبشير بيبو وبشير بيبو وبشيييير ، بيبو والجون بيبو وبشير بيبو والجون

وللمرة الثانية في نفس اليوم يبكي فوزي بقوة وكان يحدث نفسه في سره

فوزي : إذاي إذاي في يوم واحد أمي تموت والزمالك يخسر 6 من الأهلي

6 إذاي بس ، واضح أن وشك فقر يا عاصم يا ترى إيه مستنينا تاني بسببك

اتجه فوزي إلى الغرفة التي تستلقي فيها جثة أمه وكان عاصم نائم في سرير الأطفال الخاص به وكانت شهد تحتضن جثة أمها ونائمة ، فظن فوزي إنها نائمة بشكل طبيعي حتى نظر إلى وجهها ليدرك أن عيناها منتفختان من كثرة الدموع وتحجرت خطوط مجرى الدموع على

خـديها ، حتـى يحتضـن فـوزي جثـة أمـه وهـو يبكـي وكـان احتضان وداعي

فوزي: شـفتي يـا ماما ! قلتلك مـش عـايز أخ بـس إنتـي كنتـي كـل شـوية تقـولي أخـوك هيكـون ضـهرك ، أنـا قاعـد أعـيط وهو نايم في سابع نومه

أكمـل فـوزي حديثـة بصـوت ثقيـل قتلـه الرغبـة فـي الصـراخ مع الدموع

ماما إنتـي مـش بتـردي ليـه؟ طـب شـفتي إللـي حصـل انهـارده ، الزمالــك خســر مــن الأهلــي 1/6 ، أنــا عــارف إنــك مـابتحبيش الكـورة بـس كنتـي دايمًـا تقـولي يـارب الزمالـك يخسـر عشـان واكـل دماغـك أهـو خسـر أهـو ردي عليـا بقـى عشـان خـاطري..... انتـي تعبانـة وعـايزة تنـامي ، خـلاص أنـا هنـام معـاكي انهـارده وهنـام فـي حضـنك ، اه أنـا كبـرت بس عايز أنام في حضنك انهارده

ثـم أحتضـن فـوزي أمـه وهـو يبكـي وفـي هـذا المشـهد كـان محمد يقـف علـى بـاب الغرفـة وينظـر إلـى السـرير الـذي كـان ينام عليـه الطفلـين فـي حضـن جثـة لـن تبـادلهم الحنـان مجـدداً .

فراق حي

بعد أن شاهد محمد هذا المشهد في صمت أدار وجهه و اتجه إلى الشارع وقرر أن يتحدث من الميناتل حتى يحرص على أن لا يسمعه أحد من الأولاد

وقف أمام الهاتف ثم بدأ في الاتصال على أم درية (شهد الدمراوي)

شهد : ألو السلام عليكم

محمد: وعليكم السلام . شهد الدمراوي معايا

شهد: مظبوط ، مين معايا؟

محمد : أنا دكتور محمد جوز بنتك

شهد : إذيك يا محمد عامل إيه لا بتسأل ولا حد بيسمع صوتك

محمد : معلش والله الدنيا مشاغل و أنتي عارفة

شهد : ربنا يعينك يبني. قولي أخبار درية إيه ؟

محمد : أنا اتصلت عليكي عشان موضوع خاص بدرية

شـهد : اه عشـان كانـت هتولـد انهـارده ، والله اعزرنـي يبنـي انـت عـارف انـي مـش هقـدر أجـي القـاهرة ، المشـوار بعيـد عليا وأنا صاحبة مرض، بس طمني جابت إيه ؟

محمد : الحمد لله ربنا رزقني بولد (عاصم)

شهد : ألف مبـروك يـا حبيبـي يتربـى فـي عـزك ، أنـت بتـتكلم من البيت ولا من الشارع ؟

محمد : الشارع

شـهد : طيـب يـا حبيبـي أنـا هقفـل معـاك وهتصـل علـى البيـت عشان أبارك لدرية ، عايز حاجة؟

محمد : مش هاينفع

شـهد : تقصـد عشـان تعبانـة ؟ عـادي بكـرة الصـبح أكلمهـا مش مشكلة

محمد : مش هاينفع تكلميها خالص

شهد : ليه؟

محمد: البقاء لله درية توفت

نـزل الخبـر علـى أم دريـة كالصـاعقة حتـى إنهـا تركـت الخـط مفتوحـاً لـم تجيـب علـى جملـة محمـد الأخيـرة ولـم تغلـق

المكاملـة بـل كانـت مثـل التماثيـل بـدون حركـة أو حتـى تفاعـل يدل على الحزن

محمد : ماما! ، إنتي سمعاني ؟

شهد : ويارتني ما سمعتك

محمد : بس أنا كنت عايزك في موضوع تاني

شهد: ايه الموضوع ؟

محمـد : الأولاد مـش عـايزهم يعرفـوا الخبـر و هـاجي بكـرة الصبح أوصلهم لحد عندك

شهد : أنت إتجننت يا محمد ؟ إذاي متعرفهمش موت أمهم

محمد : لا ده قراري أنا ، وأنا مسؤول عنه

شهد: بس قرارك غلط يا محمد

محمـد: والله بقـى غلـط أو صـح مـش مهـم ، المهـم عنـدي إنـك مـاتعرفهمش حاجـة خـالص ، ولـو عرفـوا ، بيتـك هـايتحرم عليهم

شهد : انت بتهدد حماتك يا محمد ده أنا ذي أمك

محمد : مش تهديد بس مش عايز حد يبوظ إللي بعمله

شـهد: ماشـي يـا محمـد أنـت إعمـل إللـي أنـت عـايزه ، وعلـى رأي المثل إللي بيشيل قربة مخرومة بتشر على دماغه

أغلـق محمـد الخـط وهـو يـدور فـي رأسـه جملـة واحـدة فقـط قالتها دريـة فـي آخـر شـهور حملهـا وهـي نائمـة علـى فراشـها وكان محمد يمسك يدها حتى يهون عليها ألم الحمل

دريــة : خليـك صــاحب قـرار يــا محمــد أحيانــاً لازم تعمـل الصح وماتسمعش لحد طالما أنت شايف قرارك صح

فـي تمـام السـاعة الخامسـة صـباحاً أيقـظ محمـد أولاده حتـى يرحلـون ويقـوم بتوصـيلهم إلـى جـدتهم بالأسـكندرية كمـا اتفـق معهم

محمـد : قـوم يـا فـوزي يـلا وصـحي أختـك واجهـزوا عشـان هانمشي

فوزي وهو يتثاءب : نمشي! نمشي نروح فين؟

محمد: عند تيتة شهد ذي ما اتفقنا

فوزي : بس أنا مش عايز أروح

محمد : عيب هي عايزة تشوفكم

فوزي : طب ماما ؟

محمد : لا هانسيب ماما هنا عشان تعبانة ونعمة هاتكون معاها ماتقلقش

فوزي : حاضر يا بابا هاقوم أهو

قام فوزي وآفاق أخته التي كانت تعانده وتقول له إنها لا تريد ترك أمها وتريد أن تقضي وقت أطول معها لكن فوزي أصر على سحبها حتى تقوم وتجهز نفسها للسفر.

وبعد ساعة كان قد جهز الجميع للرحلة إلى الأسكندرية

استغرقت مدة الرحلة حوالي ثلاث ساعات حتى وصلوا إلى العجمي لكن طول الطريق كانت تظهر ملامح عدم التركيز على وجه محمد حتى كاد أن يقع في حادث مروري في عدة مرات لكنه كان يفيق في الوقت المناسب وكان عاصم بالكرسي المجاور لوالده أما فوزي و شهد كانوا جالسين في المقعد الخلفي وكل واحد منهم ينظر من النافذة التي تجاوره ولم يصدر منهما أي صوت حتى وصلوا

استقبلت الجدة الأولاد بصدر رحب وقامت بفتح ذراعيها لتحتضنهم وأدخلتهم وقالت لهم أن ينتظروا حتى تأتي لهم

ثم خرجت العجوز ذات العباءة السوداء حتى تتحدث مع زوج بنتها

محمد: البقاء لله

الجدة: البقاء لله وحده

بكى محمد وارتمى في حضنها : انا مش عارف هاعيش من غيرها إذاي

الجدة : شد حيلك يا محمد الحياة مش بتقف على حد أنا عايشة لوحدي من سنين

محمد : طيب هروح أنا عشان أخلص إجراءات الدفن

الجدة : هو انت ماخلصتهاش ؟

محمد : ما حضرتك عارفة اني مش عايز أحسس العيال بحاجة

الجدة : بس غلط إللي أنت بتعمله ده الأولاد لازم يعرفوا ، دول واعيين لكل حاجة

محمد : إحنا اتكلمنا في الموضوع ده واتفقنا امبارح وأنا قلت إللي عندي مع احترامي الكبير لحضرتك بس دول ولادي وانا أدرى بمصلحتهم ومش عايزهم يزعلوا

الجدة : مش عايزهم يزعلوا ؟ دول وشهم مخطوف كأنهم عارفين

محمد : لا هما بس عايزين ينداموا عشان أنا مصحيهم بدري وهما مناموش في الطريق

الجدة : طب نرجع لموضوعنا تاني ، هو أنت لسة ماخلصتش أي حاجة من إجراءات الدفن

محمد : كلمت حارس المقابر يفتح مقابر العيلة ، وموجود من الصبح مع نعمة دكتور حمزة عشان يكتب التقرير الطبي للوفاة

الجدة : ربنا معاك ويصبرك ويصبرنا على فراقها

عاد محمد للقاهرة ودخلت الجدة شهد حتى ترحب بأحفادها

الجدة : مالك يا شهد؟

شهد : لا مفيش بس عايزة أنام

الجدة : وأنت كمان يا فوزي عايز تنام؟

فوزي : الصراحة أه

الجدة : طب أدخلوا ناموا لحد ما يجي ميعاد الغدا

وفي أثناء عودة محمد إلى القاهرة قام بتشغيل كاسيت السيارة على الأغاني الحزينة حتى يعبر عن حزنه بطريقته وكان يدندن مع الأغاني

محمد بدندنة خلف عبد الحليم حافظ : شوف بقينا فين شوف ، شوف بقينا فين يا قلبي ، وهي راحت فين ، شوف بقينا فين يا قلبي ، شوف خدتنا لفين يا قلبي وشوف سابتنا فين.

وظل يسمع الاغاني الحزينة المتنوعة من فنان لفنان آخر حتى وصل إلى المعادي

نزل من السيارة ليجد والده يستقبله ويحتضنه بالدموع ومع ثانية والأخرى يجد الجيران تسلم عليه و تعزيه وفي الخلفية سمع صوت مكبرات المسجد وهي تنشر الخبر

(انتقلت إلى رحمة الله تعالى المتوفية زوجة الدكتور محمد عمرو البلتاجي وصلاة الجنازة عاقب صلاة الظهر)

بعد انتهاء الصلاة وانتهاء الجنازة ودفن درية رحل الجميع بعد أخذ العزاء لكن محمد لم يرحل وجلس أمام قبرها يتأمله بنظرات صامته وعيون دامعة باكية

محمد: ليه ؟ ليه سيبتيني ؟ هعيش إزاي ؟

طب عاصم . إنتي حتى مشفتيش عاصم شكله إيه. هشيل مسؤوليته لوحدي إزاي ؟

صمت محمد قليلاً حتى أدرك إنه كاد أن يغضب ربه لأنه لم يرضى بقضاء الله ثم قام بالاستغفار و ودع زوجته ورحل

وعندما عاد إلى المنزل وجد والده يقابله بحده

عمرو: العيال فين ؟

محمد : عند جدتهم

عمرو : إزاي ميحضروش دفن أمهم ؟

محمد : عادي مش عايز أشوف زعلهم وكسرتهم

عمـرو : وبعـد مـا يرجعـوا وميلاقـوش أمهـم هتتصـرف إذاي ؟

محمد : هقولهم إنها كانت تعبانة جداً فسفرتها تتعالج برا

عمرو : ولما يفضـلوا بقـى علـى أمـل إنهـم يشـوفوا أمهـم تـاني ؟

محمد : يكبروا كمان شوية وهعرفهم الحقيقة

عمـرو : يعنـي هيفضـلوا سـنين عايشـين وهـم إنهـا بتتعـالج ومش هيقرروا يوم حتى يتصلوا عليها يطمنوا؟

اسمع مني هتتكشف في ثانية وهيكون موقفك وحش أوي

محمد : هحاول أشوف طريقة أقنعهم بيها

عمـرو : تفتكـر همـا هيحبـوك لمـا يعرفـوا إنـك قعـدت سـنين مخبـي علـيهم مـوت أمهـم وعيشـتهم فـي وهـم أنهـم هايقابلوهـا تاني وبعد كده تخذلهم بقرار موتها ؟

رد محمد بالصمت

عمرو : ما علينا البقاء لله. أنا راجع دمياط انهارده

محمد : الدوام لله

عمرو : انت مش هتتغير أبداً

نعمة مقاطعة الحديث: اذيك يا بيه

عمرو : بخير الحمدلله . خير مش شايفانا بنتكلم

نعمة : لا مؤاخذة يا بهوات مش إلي ذنب ، مدام شهد هانم عايزاك على التليفون يا دكتور

محمد : وهي مقالتش عايزة إيه ؟

نعمة : لا والله يا دكتور مش جابت أي سيرة خالص

محمد : عن إذنك يا بابا هشوف في إيه وراجعلك على طول

محمد : ألو.. خير

الجدة : عايزة أقولك على حاجة بس أوعدني تهدى

محمد : خير ، عاصم جراله حاجة

الجدة : لا عاصم والأولاد بخير لكن الأولاد عارفين حقيقة موت أمهم

لم ينطق محمد كلمة بعد سماع هذه الكلمات وقام بإغلاق سماعة الهاتف الأرضي بعصبية واتجه إلى السيارة وكان على وجهه الغضب وأضح حتى إنه تجاهل والده

الجدة شهد : إبعتيلي الأولاد من فوق يا سهير

سهير : أمرك يا مدام

الجدة : سهير!

سهير : نعم يا مدام

الجدة: لآخر مرة هسألك. إنتي فعلاً سمعتي الأولاد بيتكلموا عن موت أمهم

سهير : والله يا مدام شهد سمعت فوزي بيقول لأخته من بعد ما ماما ماتت وانا مش عارف أنام ومش جايلي نوم

الجدة: طيب اطلعي اندهيلهم ، المغرب قرب يأذن

وبعد نزول الأولاد جلسوا على السفرة

الجدة : سيبتكم نايمين صعبتوا عليا بس إحنا وصلنا المغرب لازم ناكل لقمة

فوزي : بس أنا شبعان يا تيتة

شهد : وأنا كمان

الجدة: لا لازم تخلصوا الأكل ده كله

وقامت بالإشارة بإصبعها على عاصم وقالت : ذي ما الملاك الصغنن ده خلص أكله كله

فوزي : تاني هتقولوا ملاك

الجدة : وماله بقى يا سي فوزي

فوزي : ده اكتر حد نحس شفته في حياتي

الجدة : فين النحس ده

فوزي : ده اتواد من هنا خسرنا ٦ من هنا

الجدة ضحكت بهستيرية : اه قولتلي ، انت زملكاوي ، ده المارد الأحمر مفيش قده

فوزي : الزمالك بطل الدوري السنة إللي فاتت

الجدة: الأهلي بطل أفريقيا السنة إللي فاتت

فوزي : طب الزمالك هيكون بطل أفريقيا السنة دي وهتشوفي

الجدة : الأهلي بطل السوبر الافريقي

فوزي : الزمالك خد من الأهلي السوبر الافريقي من 8 سنين بهدف ايمن منصور

الجدة : برضو الأهلي علم على الزمالك

فوزي بعصبية بعد أن حاول أن يصمت : ليكي عين ونفس تضحكي وإنتي عارفة إن بنتك ماتت؟

الجدة : انت بتقول ايه يا فوزي

شـهد : انـت بتقـول ايـه يبنـي كـل وبطـل تخريـف بقـى الكـورة لحست دماغك

وقبـل إنهـاء حـديثهم دق جـرس البـاب ، فتحـت سـهير البـاب حتـى يـدخل محمـد بعصـبية وانـدفاع دون أن يلقـى علـيهم السـلام حتـى وقـام بإنتشـال شـهد ومحمـد مـن علـى السـفرة وآمر سهير أن تحضر حقيبة الأطفال

محمد : روحي يا سهير بسرعة هاتي شنطة الأطفال

سـهير: أوامـرك يـا بيـه بـس أخـد إذن مـدام شـهد هـي صـاحبة البيت

محمـد بعصـبية : بقولـك هـاتي الشـنطة انتـي مـابتفهميش الكلام ليه

الجدة : ما تهدى يا ابني مالك

محمـد : أنـا مـش عـايز اسـمع صـوتك تـاني سـبق وحـذرت قبل كده

الجدة : أنا مقولتش حاجة والله

محمـد : قلتلـك العيـال لـو عرفـوا هيكـون بيتـك محـرم علـيهم واديهم عرفوا وانا جاي اخدهم ومش هتشوفي وشهم تاني

الجدة : انت كده بتقطع صلة الرحم يا محمد

لـم يـرد عليهـا وأخـذ الحقيبـة مـن سـهير ووضـع بهـا عاصـم واتجـه إلـى البـاب وفـي يـده شـهد و فـوزي وقبـل أن يغلـق الباب ويرحل إلتفت إلى الجدة ونهرها بعد أن نادته

الجدة : محمد انت بتتكلم كده ليه انا قد والدتك عيب كده

محمـد : والله أنـا لمـا احتجـت حـد لجأتلـك عمومـا بـس انتـي خنتـي الاتفـاق وآخـر الكـلام بيتـك يحـرم عليـا وعلـى أولادي لحد ما أموت وعلاقتي بيكي إنتهت من بعد موت بنتك

ثـم تركهـا محمـد وذهـب إلـى السـيارة وسـط بكـاء الأطفـال والحـزن علـى الفـراق رغـم أنهـم علـى قيـد الحيـاة لكـن لا يقـدرون علـى تكسـير أوامـر والـدهم لـذلك ركبـوا السـيارة لكن لم تنزل أنظـارهم عـن بـاب الجـدة شـهد التـى ظلـت واقفـه تراقب رحيلهم في صمتٍ باكٍ

فلاش باك

يوم ٢٠٢٠/٧/٢٣

تجمع عائلي بين ثلاث أفراد الدكتور محمد البلتاجي و المحامي فوزي البلتاجي والطالب الثانوي عاصم البلتاجي منتظرين ظهور نتيجة الثانوية العامة وملامح التوتر تظهر على وجوه الثلاث أفراد وبعد لحظات تم كسر هذه الملامح بفرحة هستيرية بعد إعلان النتيجة .

الطالب : عاصم محمد عمرو البلتاجي

الشعبة : علمي علوم

النتيجة : 403

المجموع : 98.4٪

تغيرت ملامح التوتر والحظر إلى سعادة على أوجه عاصم ومحمد حتى دمع أعين محمد من الفرحة

محمد : ألف مبروك يا عصومي

عاصم : الله يبارك فيك يا بابا كله من تعبك وخيرك

محمد : ناوي تدخل إيه

عاصم : مش عارف والله

فوزي : كله محصل بعضه

عاصم : والله نفسي اكون حاجة كبيرة ذيك يا مستشار

فوزي : وانت تقدر على شغل المحاماة ؟

عاصم : وايه الصعب فيها

فوزي بعد أن قام من مقعده وقرر الرحيل أجاب وهو يرحل : شغل عايز دماغ مفتحة وذكاء وشخصية

محمد : رايح فين يا فوزي

فوزي : رايح المكتب عندي قضية مهمة شغال عليها

محمد : ربنا معاك يبني مع السلامة

رحل فوزي وغادر المنزل وأصبح عاصم ومحمد وحدهم في المنزل وكان الأب سعيد جداً بنجاح إبنه وتفوقه

عاصم : بابا هو أنت ليه سبت فوزي يمشي من غير حتى ما يقولي مبروك

محمد : راح عن بالي والله يبني وتلاقيه مخدش باله انت عارف لما بيركز في قضية بينسى إللي حواليه

عاصم : حاسه مش فرحان

محمد : ده كان قاعد قلقان قبل ظهور النتيجة مجتش على حتة كلمة نسي يقولها يعني

عاصم : بس دي مش أول مرة يا بابا

محمد : منشغلش بالنا في ذكريات قديمة

الساعة الوقت واحدة ، يلا روح نام عشان الوقت أتأخر

عاصم : حاضر يا بابا تصبح على خير

محمد : وانت من أهل الخير

لم يتسلل النوم إللي جفون عاصم وكان يتذكر كل ذكرياته القديمة حتى ذهبت ذكرياته بكل التفاصيل إللي الماضي

عاصم وهو يستعيد الذكريات : أنا فاكر كويس يوم ما جبت النتيجة الإبتدائيه كأنه كان امبارح

*****

٢٠١٤/٦/٢٩

سعيد : ايه ده أنت طلعت شاطر أوي أهو و جايب ٩٩٪

عاصم : أه عشان بذاكر

سعيد : بس الحمد لله إحنا عارفين هنروح فين بعد ابتدائي كده كده عوض الصياد إبتدائي وإعدادي

عاصم : ما أنا عارف

سعيد : أنت مش بتاخد وتدي في الكلام ليه ؟

عاصم : مش متعود أتكلم مع حد في المدرسة

سعيد : ما أنا كنت بشوفك قاعد مش بتتكلم مع حد و بتروح لوحدك كمان

عاصم : هو أنت اسمك إيه ؟

سعيد : أنا اسمي سعيد أبو الدهب

سعيد : هو أنت فعلاً من القاهرة

عاصم : أه من القاهرة وقاعد مع جدو هنا في دمياط

سعيد : وبتشوف بقى أبوك وأمك بعد الدراسة بس

عاصم : أنا ماما ماتت و مشوفتهاش

سعيد : الله يرحمها

عاصم : يا رب ، بابا وأخواتي بعد الدراسة ما بتخلص بينزلوا دمياط يصيفوا في راس البر وبروح معاهم بعد المصيف

سعيد : يعني أنت هتمشي قريب

عاصم : أه هروح القاهرة قريب

سعيد : طب معاك تليفون عشان أبقى ارن عليك

عاصم : لا والله مش معايا

سعيد : طب خلاص تعالى نتكلم شوية طالما مش هشوفك غير لما الدراسة تبدأ

عاصم : من انهارده إحنا صحاب

سعيد : اتفقنا

عاصم : أنا بابا أصله من دمياط بس هو دكتور واتخرج من جامعة القاهرة عشان مفيش جامعة في دمياط

سعيد : يعني انت أبوك دكتور ؟

عاصم : أه الدكتور محمد عمرو البلتاجي

سعيد : أنا حاسس اني سمعت الاسم ده قبل كده

سعيد: هو عمرو البلتاجي ده تاجر خشب ؟

عاصم : أه هو عرفت منين

سعيد : أصل بابا نجار وبيجيب من عنده خشب

عاصم : وماما الله يرحمها كانت دكتورة نسا وتوليد

سعيد : الله يرحمها

عاصم : بابا كان دايمًا يتكلم معايا عنها ويقولنا قبل ما تتكلموا عنها دائما قولوا (الدكتورة درية عاصم فوزي العامري)

سعيد : اشمعنا

عاصم : عشان هي كانت دكتورة شاطرة

سعيد : بقولك إيه ما تيجي نلعب كورة ، أنت ليك في الكورة ؟

عاصم : لأ مش بفهم في الكورة

سعيد : أنت بتشجع مين؟

عاصم : أنا مليش في الكورة . بس لو ماتش شغال بشجع الأهلي

سعيد : جدع المهم انك بتشجع الأهلي

عاصم : هي الساعة كام معاك

سعيد : الساعة 12 الضهر

عاصم : يا نهار أزرق أنا اتأخرت، جدي هيضربني

سعيد : طب أبقى تعالى هنا بليل هنلعب كورة

عاصم : لو عرفت هاجي

رحل عاصم وقت ذلك مسرعاً حتى يسعد جده بنتائج الامتحانات وعند وصوله دق الجرس حتى يتفاجأ بشهد تفتح الباب وتفتح ذراعيها حتى تستقبله

عاصم : إيه ده ؟ شهد ! هو أنتوا جيتوا أمتى ؟

شهد : كفاية رغي وتعالى هات حضن ، وحشتني يا واطي

عاصم : وحشتك و واطي ، تركب إذاي دي؟

شهد : شتم الحبيب ذي أكل الزبيب

عاصم : هي مش كانت ضرب الحبيب ؟

شهد : انجز يا رخم هتجيب حضن ولا أسيبك وأدخل

ارتمى عاصم في حضنها ولم يفارقه حتى سمع صوت يناديه بحده

فوزي : كنت صايع فين على الصبح كده؟

عاصم : كنت بجيب النتيجة

شهد : وعملت إيه ؟

عاصم : نجحت الحمدلله

فوزي : وهو في حد بيسقط في ابتدائي؟

شهد : عايز إيه يا فوزي ؟

فوزي : لا مش عايز حاجة بس إحنا مش بتوع نجحت وسيب القوس مفتوح إحنا عايزين تقدير

عاصم : أنا جبت ٩٩٪

شهد : ما شاء الله ، شاطر يا عصومي

فوزي : شاطر على ايه ؟ ده لسة في ابتدائي

شهد : انت عرفت تجيب المجموع ده وانت في ابتدائي ؟

فوزي : وانتي هتقارني أيامنا بأيامه ؟ المهم ورينا هتعمل إيه في الآخر.

شهد : عاصم هيبقى مهندس

فوزي : أيوه يا عاصم خد الحكمة من أفواه الفلاحين

شهد : تقصد إيه يا فوزي؟

فوزي : هو مش انتي اتخرجتي في كلية الفلاحين برضو ؟

شهد : طب بس أسكت أنت متعرفش تدرس ربع إللي درسناه اخرك تحفظ مواد القانون وبس

فوزي : وأنتي فاكرة إن دراستنا كلها قانون بس ولا إيه ؟

واشتد النقاش بين شهد وفوزي وتجاهلوا عاصم تماماً حتى رحل عنهم واتجه إلى غرفة جده ليجد والده جالس مع جده فانقض عليه بالقبلات وكله اشتياق لسند الأب

محمد : عرفت من جدك إنك كنت رايح تجيب النتيجة صح ؟

عاصم : أه ونجحت وجبت ٩٩٪

محمد : أيوه كده هو ده إبني ، عايزك تطلع دكتور ذي بابا

عاصم : أنا الحمدلله عارف مكان مدرستي عشان مدرستي فيها إعدادي برضو

محمد : هو أنا ماقولتلكش؟

عاصم : على إيه ؟

محمد : أنا جاي انهارده هاخد ملفك عشان تدخل مدرسة في القاهرة

عاصم : بس أنا بقى ليا صحاب

محمد : عادي هتعرف يبقى ليك صحاب هناك برضو

توقفت ذاكرة عاصم عند هذا الحد حين تذكر وقت أن نجح في المرحلة الإعدادية وتعامل فوزي معه وقتها

*****

في يوم ٢٠١٧/٧/١

فوزي : أهلا وسهلاً بالأستاذ ، وشك مقلوب ليه؟

عاصم : مفيش زعلان شوية

شهد : خير يا عاصم عملت إيه ؟

عاصم : نجحت بس جبت 87٪ بس

فوزي : شفتي يا شهد قلتلك ده في ابتدائي كان فرحان بالنتيجة لكن بان على حقيقته دلوقتي

شهد : بس هو مسقطش مثلاً وهيلحق ثانوي

فوزي : ثانوي ؟ المجاميع كبيرة السنادي مش هيلحق

شهد : لا مش للدرجة يا فوزي

فوزي : شكلنا كده مش عارفين نتعامل معاك في التعليم ، الله يرحمك يا جدي مات من غير ما يقولنا كان بيتعامل معاك إزاي

عاصم : طب حتى قولي مبروك حتى

فوزي : مبروك على إيه أنت خسارة فيك فلوس التعليم والدروس الخصوصية ، أبوك بقى بيخسر ثروته بسببك

شهد : بسبب عاصم ولا بسبب أبوك ؟

فوزي : صرف على تعليمه آلاف الآلاف

شهد : وأنت مكتبك متشطب ومحدش عايز يعبرك وأبوك فضل يصرف عليك طول الجامعة وكمان فتحلك مكتب ليه بقى مطبقتش الكلام ده على نفسك

فوزي : طب وجهازك يا عروسه وأنتي خلاص أهو فرحك قرب

شهد : أنا مبقولش إننا السبب في إن ثروة أبوك بتروح

السبب إن أبوك جراح ، دكتور مخ و اعصاب وبقى على المعاش كمان ومعدتش بيقدر يشتغل ورافض يستثمر فلوسه وده سبب أن ثروته بتروح

عاصم : على فكرة ده مش وقت خناق بابا تعبان محدش يزود عليه ده غير أنه بدأ ينسى

توقفت ذاكرة عاصم عند هذا الحد عندما غلبه النوم ليستعد ليوم جديد من معاناة التنسيق الجامعي.